

اعتماد مبدأ الحوار القرآني

اعتماد مبدأ الحوار القرآني

الأستاذ الشيخ عبدالأمير قبلان/نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى - لبنان

القرآن الكريم خطاب إلهي تعالى إلى الناس كافة، من طريق خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لتدبر آياته بما يتناسب و تطور عقولهم في مضمار العلم والحضارة والاجتماع.

وبما أن القرآن كتاب إلهي للانسان في كل مكان وزمان للعمل بمقتضاه في حياته العامة والخاصة، فذلك يعني أنه لم يترك منحى من مناحي حياة الانسانية الا وعالجها بشكل مجمل أو تفصيلي، ومنها كيفية تعامل الانسان مع أخيه الانسان في الخلق والانسانية من طريق الحوار.

وقد جاءت سور متعددة في القرآن الكريم على شكل حوارات شيقة رائعة، تستعمل الاساليب العربية البليغة الجذابة حتى تؤدي الغاية منها، وهي التعليم والارشاد و الاقناع من خلال العقل من دون أي اكراه، واستنادا الى ذلك، يمكن القول، ان الانسان المسلم العاقل السوي الذي ينهج في سلوكه النهج القرآني، لابد ان يعتمد مبدأ الحوار القرآني، و يلجأ الى الحوار مع الآخرين عند الاختلاف معهم من اجل تحقيق خلافة الله في الارض على أحسن صورة.

ومن نافل القول، أن الحوار مع الآخر قد يكون المدخل الوحيد والصحيح لمعرفته حق المعرفة من دون برقع أو قناع كما قد يكون مدخلا للتعلم والمعرفة أو الاستزادة منهما، وحلاً ناجعاً لتلافي المشاكل والنزاعات، وإزالة الضغائن والاحقاد والابتعاد، عن الكراهية والتعصب والمغالاة. وإِ يقول تعالى يقول في الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات من كتابه الكريم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَ لَكُمُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13) التي تعني أن الانسانية قائمة على التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف. كما يقول إِ تعالى في الايتين الثامنة عشرة بعد المئة والتاسعة عشرة بعد المئة من سورة هود: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُونَ مُخْتَلِفِينَ) (إِ سَلَا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)، التي تعني أن في الديانات تنوعاً واختلافاً. كما يقول رب العالمين في الآية الثامنة والاربعين من سورة المائدة: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ...) التي تعني أن المذاهب والحضارات والثقافات قائمة على أساس التنوع و الاختلاف.

ولأن إِ سبحانه وتعالى خلق الناس مختلفين في ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم وعقائدهم، ودان الصراع فيما بينهم، الذي يفضي الى قضاء بعضهم على بعض، والى الاستكبار في الأرض، فانه دعاهم الى التسابق فيما بينهم على طاعته، وعلى عمل الصالحات، كما جاء في تنمة الآية الثامنة و الاربعين من سورة المائدة: (وَلَا كُنْ لِلْكَافِرِينَ لِيَدْبُلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة:48); كما دعاهم الى التحاور فيما بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما جاء في الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة النحل.

وهكذا، فالحوار بين الناس مبدأ أساسي من مبادئ القرآن الكريم، حتى ان إِ جل جلاله الاستعمل الحوار لترسيخ هذا المبدأ الانساني الذي لا غنى عنه لقيام التعارف والتواصل والتعاون بين الناس، وإِحلال المودة والسلام فيما بينهم.

ومن نماذج الحوارات القرآنية الإلهية التربوية والتعليمية الرائعة المنطق والبلاغة، نذكر على سبيل المثال:

أولاً - حوار ا﷉ تعالى مع الملائكة:

ان اول حوار ساقه القرآن الكريم و يستدعي التأمل و النظر والاعتبار هو الحوار الذي جاء في الآية الثلاثين من سورة البقرة، بين ا﷉ سبحانه وتعالى ومخلوقاته من الملائكة، حول خلافة الانسان في الارض.

فقد احتج الملائكة على الخالق عزوجل لجعله الانسان خليفة في الارض، وهو من طبعه الإفساد وسفك الدماء، وعدم الالتفات اليهم، وهم المؤمنون به، الذين يقدسون اسمه ويسبحون بحمده. فلم يعرض ا﷉ تعالى عنهم، ولم يغضب عليهم، ولم يعاقبهم، بل حاورهم بسماحة المقتدر، العالم، الذي لا يصادر رأيا، ولا يتأفف من جهل أو عصيان. (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

ثانياً - حوار ا﷉ تعالى مع إبليس:

لم يقتصر الحوار الالهي القرآني على الملائكة المؤمنين با﷉ تعالى فسحب، وانما تعداه الى غير المؤمنين، وعلى رأسهم: الشيطان، إبليس. لقد أمر ا﷉ تعالى الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا، الا إبليس، أبى واستكبر، مدعياً انه أفضل من آدم لانه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين. ومع ذلك، حاوره ا﷉ تعالى واستجاب لطلبه، ليتعرف الانسان حقيقة إبليس وطبيعته الشرية واستكباره وتعاليمه على الخلق، ودفعهم الى الشر، وسبب طرده من الجنة. وهذا مما يدل على ضرورة الحوار بين الناس كافة من أجل معرفة بعضهم حقيقة دوائر وسرائر بعضهم الآخر، من دون أي ضغط مادي أو اكراه معنوي، وبغاية قيام التفاهم والتصالح والسلام فيما بينهم عوضاً عن التخاصم والتنازع والتصادم.

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَلَا ذَا سَوْءَ يَتَّبِعُهُ

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أََمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتُ نَارِي وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّدَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا لَأُعِيدَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (83). قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85).

ثالثاً - حوار □ تعالى مع أنبيائه:

لقد خلق □ تعالى آدم وجعله أفضل من الملائكة وأعظم. وشاء أن تكون الجنة سكناً له ولزوجه حواء؛ وأعطاهما حرية الأكل مما يشاء ان ما عدا شجرة معينة حرم عليهما الاقتراب منها، وحذرهما الشيطان ابليس عدوهما المبين.

ولكن إبليس وسوس لهما، وأقسم بأن □ نهاهما عن الاقتراب من هذه الشجرة التي هي شجرة الخلد، لأنه لا يريد هما أن يكونا ملكين أو من الخالدين. فأكلا منها، فبدت لكل منهما عورته، وأخذا يستتران بورق من الجنة، فعاقبهما □ سبحانه وتعالى على معصيتهما، فطلباً المغفرة والرحمة، فقال: اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين.

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا لَأَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَالَا سَمِعْنَا مِنْ رَبِّنَا لَعْنَةً لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَیْهِمَا مِنْ وَرَقٍ

الْجَنَّةَ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الْجَنَّةِ وَالْأَقْل
لَكُمْ مَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَ رَبِّ نَادَا طَلَامُنَا أَنْفُسُنَا
وَأِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ
(24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25).

رابعاً - حوار □ تعالى مع نوح(عليه السلام):

عندما دعا نوح ابنه الى ترك الكافرين وركوب السفينة، فيكون من الناجين من الطوفان، وأجابه ابنه
أنه سيأوي الى جبل يعصمه من الغرق، نادى نوح ربه أن ابنه هذا هو من أهله الذي وعد □ بنجاتهم.
فأجابه □ تعالى: أن ابنه ليس من أهله حتى ينجيه.

(وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ الْحَاكِمِينَ) (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّ نَفْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ
غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ نَفْسَ أَغْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ) (سوره هود/ آية: 45 - 46) .

خامساً - حوار □ تعالى مع ابراهيم الخليل (عليه السلام)

على الرغم من ايمان ابراهيم الخليل (عليه السلام) با □ سبحانه وتعالى، وقدرته المطلقة على احياء
الموتى، فانه طلب منه أن يريه كيف يحيى الموتى حتى يطمئن قلبه. فاستجاب □ تعالى لطلبه قائلا له:
خذ أربعة من الطير فقطعها أربعة أجزاء، ثم ضع كل جزء على جبل، ثم ادعها بأسمائها تأتيك. فأخذ
ابراهيم ديكاً وغراباً وطاووساً ونسراً وقطعها أربعة أجزاء، وأمسك رؤوسها عنده، ووضع كل جزء على
جبل، ثم دعاها بأسمائها فتطايرت الاجزاء من كل جبل بعضها الى بعض حتى تكاملت، ثم أقبلت على رؤوسها
التي عند ابراهيم.

يقول اﷲ تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالِ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالِ فَاخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّ لِيَّ لَإِيَّكَ تُعْرَبْنَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (سورة البقرة / آية: 260) .

سادساً - حوار اﷲ تعالى مع موسى (عليه السلام):

عندما بلغ موسى جبل الطور وهو مع أهل بيته في طريقه الى مصر، ناداه اﷲ تعالى: يا موسى! اني انا اﷲ رب العالمين. ولإقناع موسى بذلك، قال اﷲ عزوجل، له: ألق عصاك، فألقاها، فرآها تتحرك بسرعة كالحية الصغيرة، فولى منها مديرا هاربا. فناداه اﷲ تعالى يا موسى، عد ولا تخف، انك من الآمنين من شرها. فعاد موسى واخذها، فاذا هي عصاٌ كما كانت. ثم قال اﷲ تعالى له: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء كضوء الشمس من غير سوء، فذا انك حجتان لك من ربك على فرعون و قومه لدعوتهم الى اﷲ التخلي عن فسقهم وشركهم. فقال موسى: رب! انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون، واخي هارون أفصح مني كلاماً - وكان على لسان موسى رته - فأرسله معي معينا لي بعبء عني ويصدق قلبي، فاستجاب اﷲ لرجيته قائلا: سنشد أزرك بأخيك هارون، ونجعل لكما الغلبة فلا يملككما سوء. ثم بعد حين، نادى موسى ربه قائلا: ربنا! لقد آتيت فرعون و قومه أموالا كثيرة، فاضلوا بذلك عبادك عن طاعتك فاطمس على أموالهم وأرهم العذاب الاليم. فقال اﷲ تعالى له ولهارون: لقد استجبت لدعوتكما، وأغرق فرعون وجنده في البحر.

يقول اﷲ جل و علا: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِّنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأِ مَوْسَىٰ إِنَّ نَبِيَّ أُنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَأِ مَوْسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّ نَبِيَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجْ بَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِّنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّ نَبِيَّكُمْ كَذَّابٌ (32) قَالَ رَبِّ إِنَّ نَبِيَّي قَتَلْتُمْنِي فَخَافُ أَنْ يُقَاتِلُونِي (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنَّ نَبِيَّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّكَ عُصَدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مِ

سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْزَلْنَاهُ وَمَنْ تَتَّبِعْكُمَا الْغَالِبُونَ (سورة القصص / آية: 30 - 35).

كما يقول □ تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبِّنَا إِنَّا نَحْنُ الْغَالِبُونَ وَمَلَائِكَةُ زَيْنَةٍ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبِّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبِّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِيهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88)) قَالَ فَدَّ أَجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (سورة يونس/ آية 88 - 89)

ولم يكن الحوار القرآني بين □ وملائكته وأنبيائه فحسب، بل تعدى ذلك الى الحوار بين الانبياء والبشر، والى تدخل □ في ذلك الحوار، فالآيات الأولى من سورة المجادلة مثلا، تخاطب النبي محمداً (ص) قائلة: ان □ يا محمد قد سمع مقالة المرأة التي تكلمك في شأن زوجها الذي طاهرها، وتتضرع الى □ لمعرفة حكمه. والحكم هو أن الطهار منكر وافك مبين.. إلخ.

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَيَّ اللَّهُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُطَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (2) (المجادلة / 1-2).

كما أن □ تعالى يخاطب نبيه محمداً (ص) في الآيتين الواحد والستين والثالثة والستين من سورة آل عمران قائلاً: من جادل في عيسى بأنه لم يكن □، ولا ولده، ولا شريكه، كما جاءك البيان من عندي، فقل: - والخطاب هنا موجه إلى وفد نجران من أحرار النصارى (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَيُّنَ هَلْ نَدْعُوهُ فَدَعَا لِعِزَّةِ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (61)) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63).

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنَّ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ

نَبِّئْتَهُمْ لَوْ فَتَنَّاكَ لَعَلَّكَ تَتَّبِعُ الْآيَاتِ الْكَافِرِينَ (61) إِنَّ هَذَا لَهَوٌ الْقَوْمِ
الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَوٌ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62)
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ (سورة آل عمران/ آية 61 - 63)

وإذا كان الحوار مبدأ دينيا، فذلك يعني أنه من جملة الأمور الفطرية التكوينية التي جعلت في بني آدم من أجل خيرهم، وهذا مما يقتضي ضرورة اعتماد الحوار بين جميع الناس عند اختلافهم في أمر من الأمور. وقد كان الحوار وسيلة من الوسائل الناجعة التي استعملها رسل الله في محاولة اقناع الناس بما يدعون اليه من ديانا، ومن سلوك سبيل الحق والرشاد، والبعد عن طريق الضلال والظلم والطغيان.

والدعوة الى الحوار العقلي المنطقي الهادئ الرزين بصدر رحب وطول أناة، اعتمادا على الحجج والبراهين، جاءت في قول الله تعالى في الآيتين الخامسة والعشرين بعد المائة والسابعة والعشرين بعد المائة من سورة النحل، (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: 125).

(وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّنْ يَمُكِّرُونَ) (النحل: 127).

وكذلك في الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة البقرة، متحدثاً إلى نبيه محمد (ص): (وَقَالُوا لَنْ يَدْعُوَ إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: 111).

وعن الرسول الاكرم محمد (ص) : (أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس بقدر عقولهم).

وإذا كان الحوار يشترط مراعاة عقول المحاورين، ومقدار علمهم وفهمهم حتى يكون مثمرا ونافعاً، فانه كذلك، يشترط عدم التعنت فيه عن جهل أو مكابرة، والقول بغير علم، عملاً بقول الله تعالى في الآية السادسة والثلاثين من سورة الاسراء: (ولا تقف ما ليس لك به علم).

وخلاصة القول، انالحوار اذا كان من المبادئ التي اقرها الله ورسوله، واستعمله الله عزوجل نفسه مع ملائكته وأنبيائه، كما استعمله الرسل مع الناس على اختلافهم، وبخاصة نبينا محمد (ص)، فمن الاولى أن

يكون الحوار أمراً مندوباً إليه، ومنهجاً للمسلمين عند الاختلاف فيما بينهم في أمر من أمورهم السياسية، أو في موضوع من المواضيع العقدية أو التشريعية لاسيما وأنهم جميعاً يؤمنون بقرآن واحد لا خلاف على ما جاء بين دفتيه، ويتبنون سنة رسول الله ﷺ الصحيحة، ويتعرضون اليوم في عصر العولمة الفكرية والثقافية والسياسية والتجارية الاستعمارية الغربية الاميركية، لأشرس هجمة على معتقداتهم الدينية وقناعاتهم السياسية والاخلاقية، مما يحتم عليهم الوقوف صفاً واحداً إزاء هذه الحرب المنظمة عليهم، في أفغانستان والعراق والسودان والصومال وفلسطين ولبنان وسوريا وإيران وتناسي خلافاتهم المذهبية والفقهية التي لا تفسد في الأساس هويتهم الاسلامية الواحدة، القائمة على الايمان بكتاب الله الواحد: القرآن الكريم، وبسنة نبيه محمد(ص) رسوله الى العالمين.

ويبقى على علماء الأمة من جميع المذاهب أن يبادروا الى اعلان موقفهم الاسلامي الواحد الرافض لكل ما يدبر لها في دوائر الاستعمار والاستكبار العالمية الصهيونية، وأن يصدروا الفتاوى الشرعية التي تدعو الى وجوب وحدة الامة دينياً وسياسياً، وتحرم التعصب الديني المذهبي، وتدين تكفير بعض المسلمين لبعضهم الآخر.